الفصل الثاني
الحركة الصهيونية

الصهيونية:

الصهيونية zionism نسبة إلى صهيون، وهو أحد الجبال التي كانت تقوم عليها مدينة القدس القديمة. وقد ورد ذكره في كتب التوراة والإنجيل المحرّفة، فذكرت التوراة أن النبي داود انتزعه من اليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين الذين كانوا يسكنون فلسطين قبل غزو العبرانيين لها[١]. وكان غرض اليهودية العالمية من اختياره هو إثارة الشعور الديني والعنصري في يهود العالم، واكتساب تأييد العناصر المسيحية الغربية وعطفها[٢]. ويتلخص مفهوم الصهيونية في الاعتقاد بضرورة تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه في فلسطين، وتحقيق أمل اليهود بالعودة إلى الأراضي المقدسة[٣].

والصهيونية حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية[٤]، وزعمت أن

(١) عمر رشدي، الصهيونية وربيبتها إسرائيل، ط٢، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٢.
(٢) السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧٤، ص ١.
(٣) سالم الكسواني، المركز القانوني لمدينة القدس، عمان ١٩٧٨، ص ٤١.
(٤) فايز صايغ: الاستعمار الصهيوني في فلسطين، بيروت ١٩٧٣، ص ٣.

الشعب اليهودي يكون عرقًا نقيًا[١]، ونادت بحل لما أسمته «المشكلة اليهودية». فعارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقًا تاريخية ودينية، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في إقامة دولة يهودية في فلسطين عن طريق إرهاب وطرد شعبها العربي الأصيل[٢].

وتستمد الصهيونية أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود، تلك العقائد التي جعلت المستعمرين على مدار التاريخ يسعون لاستغلال اليهود وتوريطهم للعودة إلى ما يسمونه زورًا وبهتانًا - أرض الميعاد -، كما جعلت اليهود في العالم يحملون عداء دائمًا لغيرهم من الناس، كما تستمد الصهيونية حيويتها من ارتباط الفكر الصهيوني بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في أذهانهم[٣].

فالصهيونية كعقيدة وفكرة قديمة تتصل باليهود ودينهم

(١) يوري إيفانوف، احذروا الصهيونية، ترجمة أحمد داود، بيروت ١٩٧٢، ص ٨٧.
وقد ذكر إيفانوف أن ناحوم سوكولوف أعلن بصراحة: «ليس ثمة أجناس نقية مطلقة، ولكن اليهود دونما ريب هم أنقى أمة بين أمم العالم المتمدنة».
(٢) السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، ص ١.
(٣) عمر رشدي، الصهيونية وربيبتها إسرائيل، ص ٢٢.

ومعتقداتهم، وهي جزء من تفكيرهم، وإن كان القرن التاسع عشر قد أعطى للفكرة شكلها التنظيمي والعلني وطبعها بالطابع السياسي، إلا أن الأفكار التي تدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين سبقت ذلك التاريخ بكثير بصورة خفية وغير معلنة، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة في ظل التشبث بخرافات وأوهام مبنية على حكايات اصطبغت بصبغة دينية[١].

ويؤكد ذلك قول دافيد بن غوريون عن الصهيونية: «لم تكن الصهيونية مجرد نظرية شاملة أو مفهوم فلسفي أو ديني، مستقلة عن الزمان، والمكان والظروف، بل كانت في الواقع فلسفة يهودية، هي في جوهرها نضال ضد الاندماج «كما ذكر ليونارد شتين Leonard steim في كتابه "تصريح بلفور" ما يلي: «إن الأصول الفكرية للصهيونية قديمة قدم الشتات اليهودي، ولكنها بوصفها حركة منظمة، إنما تبدأ في عام ١٨٩٧م»[٢].

وعلى ذلك، فإن الصهيونية هي الامتداد الطبيعي والتطور التاريخي لليهودية؛ وذلك لأن دعاة الصهيونية قد جعلوا من التلمود أساسًا للدولة وفلسفتها. وهذا يقودنا إلى التمييز بين لفظي

(١) سالم الكسواني، المصدر السابق، ص ٤٣.
(٢) السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٢.

اليهودية والصهيونية فهل التعبيران مترادفان، أم أنهما مختلفان؟

والواقع أن الكلمتين من حيث الأصل - تختلفان في المدلول - ولكن مفهومهما متقارب عمليًا وواقعيًا إلى حد بعيد، وأنه لا فرق بينهما، كما يحلو للبعض إيجاد فرق بينهما.

الفلسفة الصهيونية:

تقوم الفلسفة الصهيونية على الأفكار الآتية:

١- اليهود شعب الله المختار، فأرواح بني إسرائيل تتميز عن باقي الأرواح وهي جزء من الله، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، والإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة[١].

ويمكننا القول بأن هذه الفكرة قد جعلت عند اليهود فئة متعصبة ومنغلقة على نفسها ومنعزلة، وقد عرفوا بهذه الصفة منذ أن نزلوا أرض كنعان (فلسطين)، وعندما دخلوا مصر مهاجرين عام ١٦٥٦ ق.م وأيضًا أينما حلوا بعد ذلك وحتى يومنا هذا.

والصهيونية تصور اليهود على أنهم أمة واحدة وشعب واحد وجنس واحد هو الجنس السامي، وتعزو الصهيونية إلى

(١) سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٤٣.

عدم اختلاط اليهود بالشعوب الأخرى إنما مرده رغبتهم في الإبقاء على وحدتهم كما تدعي الصهيونية فكرة النقاء الجنسي لليهود، وأن يهود اليوم هم النسل المباشر ليهود التوراة، وقد قصد بهذا الادعاء تبرير العودة إلى أرض الميعاد كما يزعمون[١].

والواقع أن اليهود ينتمون إلى عدد كبير من السلالات البشرية، وهم يشبهون الجماعات التي يعيشون في وسطها، والذين يزعمون أن اليهود جميعًا من سلالة إسرائيل هو زعم باطل من أساسه؛ لأنهم لو تأملوا أشكال اليهود وسحنهم وألوانهم لوجدوا أنهم غير متشابهين؛ ذلك لأن قانون الوراثة يقضي حتمًا بأن تكون الفروع تشبه الأصل، فتتشابه فيما بينها تشابهًا شديدًا. فيهود التوراة من الجنس السامي ذي اللون الأسمر، فكيف يتشابهون مع يهود أوربا وأمريكا وإفريقيا، والهند وغيرها من بلدان العالم.

وعلى العموم، فإن يهود اليوم هم ليسوا امتدادًا ليهود الأمس العبرانيين من نسل يعقوب وغيرهم. فاليهود اليوم عبارة

(١) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، القاهرة ١٩٧٠، ص ٣٠.

عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليها أجناس مختلفة من البشر في عصور مختلفة بحيث يصعب وصفهم بالقومية فمنهم الفلاشا الأثوبية والخزر التركي والأوروبيين واليهود السود وغيرهم.

٢- الدنيا بأسرها ملك للإسرائيلي ومن حقه أن يتسلط عليها بوصفه مساو للعزة الالهية[١].

ومن الأمثلة التي توضح لنا هذه الفكرة ما ورد في الرد الذي بعثه المجمع اليهودي العالمي إلى يهود فرنسا ردًا على شكواهم من تهديد المواطنين الفرنسيين في مرسيليا لمعابد اليهود، والواقعة ترجع إلى القرن الخامس عشر وقد ورد في الرسالة الجوابية[٢]: «أيها الأخوة الأعزاء ... تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ما تقاسمونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين بمقتضى قولكم إن ملك فرنسا يجبركم على أن تعتنقوا الدين المسيحي، فاعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا. غير أنه يجب عليكم أن تبعثوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم

(١) عبدالمنعم شميس، أسرار الصهيونية، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٠.
(٢) أحمد حامد الفقي، الصهيونية سافرة، القاهرة ١٩٥١، ص ١٣٤.

بمقتضى قولكم أنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاكهم فاجعلوا أولادكم تجاراً لتتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من أملاكهم، وبمقتضى قولكم أنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة ليهدموا كنائسهم، وبمقتضى قولكم أنهم يسومونكم اعتداءات أخرى لهذا فجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل ليدخلوا في مسائل الحكومة لتخضعوا المسيحين لغيركم فتستولوا على زمام السلطة العليا، وبذلك يتسنى لكم الانتقام.. فسيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم في ذلك تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة. التوقيع أمير اليهود»[1].

ومما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون بشأن سيطرة اليهود على العالم ما نصه: «اعتدنا نحن حكماء صهيون أن نجتمع مرة كل مائة عام بهيئة مجمع ديني لنبحث ما وصلنا إليه من تقدم نحو السيطرة التي وعدنا بها يهوده (إله إسرائيل) كان الذهب وسيظل دائمًا القوة التي لا تقاوم، فبالذهب نشتري الضمائر الصلبة ونحدد الأسعار والأوراق المالية وأسعار المنتوجات ونعقد القروض للدول فنسيطر

(١) المرجع نفسه.

عليها.. فلنحاول استبدال العملة الورقية بالذهب لنملأ صناديقنا بالذهب فندفع قيمة الورق ونصبح أسياد الجميع»[١].

إن هذه الأفكار وإن كان مبعثها في الأصل مبنيًا على معتقدات دينية، إلا أنها أخذت تتسم مع الزمن بطابع يعتمد على استراتيجية اقتصادية تهدف إلى السيطرة والاستيلاء وفق نهج مرحلي يراعي الظروف السياسية والاجتماعية في البلاد التي يعيش فيها اليهود.

٣- إن فلسطين هي الهدف الأساسي لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي يبدؤون منها سيطرتهم على العالم، ففيها يجب أن تقوم دولتهم لأنها على حد زعمهم أرض الميعاد؛ ولذلك يقول اليهود إن فلسطين أرض مقدسة لا يحق لأي فئة احتلالها، وإنما هي حق لليهود وحدهم[٢]. وقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون أن فلسطين ليست إلا حقل تجارب لإسرائيل في الزراعة تمهيدًا للثورة العمالية القادمة[٣].

(١) محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٢٠.

(٢) محمد طلعت الغنيمي، قضية فلسطين أمام القانون الدولي، الإسكندرية ١٩٦٧، ص ١٩-٢٠.

(٣) محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٢١.

وبقي اليهود البعيدون عن فلسطين يراودهم الحلم بالعودة إلى الأرض المقدسة واستعادتها كما كانوا يتغنون في مزاميرهم بالأرض المقدسة، ويصلون من أجل الرجوع إليها. وقد ظلت فكرة العودة إلى فلسطين تراود اليهود منذ نهاية غزوهم لها وطردهم منها. وقد تناولت الأجيال المتعاقبة هذه الأفكار؛ ولذا فإن فلسطين على حد زعمهم - هي حجر الزاوية في معتقدات اليهود الدينية[١].

٤- إن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعبًا واحدًا ينتمي إلى أصل واحد، وإن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعًا أعضاء في الجنسية الإسرائيلية[٢].

وهذا قول مرفوض من أساسه، فيهود العالم يفتقرون إلى كافة مقومات القومية المتعارف عليها، فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك أو تراث حضاري، ولا يجمعهم لغة واحدة مشتركة، بل كانوا غالبًا ما يتحدثون لغة البلاد التي عاشوا على أرضها، وتفيؤوا بظلالها، وأكلوا من خيراتها، كما أن عاداتهم وتقاليدهم

(١) سالم الكسواني، المركز القانوني لمدينة القدس، ص ٤٥.
(٢) نفس المرجع.

تختلف وفقًا للمجتمعات التي عاشوا بينها، ولم يعيشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة، بل هاجروا إلى أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر يرجع إلى بدايات التاريخ اليهودي. وأخيرًا لم يكن يربط اليهود في العالم سوى الشعور بالتضامن الذي خلقه ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة وأمل العودة إلى أرض الميعاد من الديا سبورا Diaspara أي أرض الشتات أو المنفى[1].

وحقيقة الأمران اهتمام اليهود بفلسطين ليس مرده الأهمية الدينية كما يزعمون، بل هي الأهمية الاستراتيجية كما ذكر «ناحوم جولدمان» رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الذي بين بوضوح الهدف الحقيقي لاختيار فلسطين هدفًا للصهيونية وقاعدة للاستعمار، فقد قال في محاضرة له في مونتريال في كندا عام ١٩٤٧م نشرتها جريدة الاتحاد الوطني الناطقة بالفرنسية عدد ١٢ عام ١٩٥٣م «لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت تغطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس أيضًا لأن مخزون أرض فلسطين

(١) السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، ص ٣٧-٣٨.

من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوربا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم؛ ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم[١].

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تنشأ الصهيونية في أوربا، وأن يكون توقيت ظهور منظمتها في نهاية القرن التاسع عشر، وأن تصوغ ايديولوجيتها على الوجه الذي صاغته فيه. فالأوضاع الاقتصادية والسياسية هي التي أوجدت المناخ المناسب لظهور اللاسامية، وهكذا فقد ولدت الصهيونية على فراش الاستعمار الأوربي وغذتها المطامع الدولية[٢].

---

(١) رفيق شاكر النتشه، الإسلام وفلسطين، الرياض ١٩٨٠م، ص ٥٨.

(٢) إن ادعاءات اليهود بأنهم من الجنس السامي لهو زعم باطل، فقد أعلن الاتحاد الأمريكي للأنتروبولوجيا عام ١٩٣٨ أن لفظ سامي إنما هو تعبير لغوي ليس له أي مدلول جنسي Rucial وأنه ليس هناك جنس يهودي، وأن اليهود يتكونون من أجناس مختلفة ومن عناصر متباينة، فاليهودية عقيدة دينية ولها أتباع من كل الأجناس البشرية. انظر: وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ص ٣٤.
كانت التجمعات اليهودية في شرق أوربا، ترزح تحت وطأة التمييز والاضطهاد، وكان اغتيال قيصر روسيا إسكندر الثاني في ١٣ مارس ١٨٨١، هو الشرارة التي أشعلت جذوة الأعمال المعادية لليهود، وهو ما يسمى بحركة معاداة السامية، فلم تمض بضعة أسابيع على اغتيال القيصر حتى فتحت أبواب الجحيم على اليهود، ونتج عن ذلك اضطهاد اليهود في دول شرق أوربا، وذلك بسبب سوء أعمالهم الشريرة واستغلالهم للشعوب وقيامهم بالمؤامرات ضدها. انظر:
Herzle,Theoelor, The Jewish state, New York (972,p.27

ولم تنشأ الصهيونية الحديثة في غرب أوربا حيث كان اليهود قد خطوا خطوات واسعة نحو الاندماج في المجتمعات الغربية، وإنما ظهرت في شرق أوربا حيث سادت حياة اليهود العزلة والتعصب[١]، فكان اليهود يقيمون في أحياء خاصة بهم، عرفت باسم «جيتو» Ghet-to وكانوا يعيشون فيها حياة غامضة مبهمة، أثارت شكوك المواطنين من حولهم، وأذكت روح البغض والكراهية لهم.

وبالرغم من أن منظمات «أحباء صهيون» Lovers of zion قد نشأت أساسًا في روسيا القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع ودعت للهجرة إلى فلسطين، إلا أنها لم تترك أثرًا عميقًا في حياة الطوائف اليهودية، فقد أثر اليهود بمذهب القومية الذي اجتاح أوربا في ذلك الوقت، فأصبح بعضهم يعتقد أن الديانة اليهودية والرابطة العنصرية المزعومة بين اليهود تجعل منهم أمة واحدة. ويصف حاييم وايزمن Chaim Weizmann يقظة اليهود في هذه الفترة بقوله: «بعد قوانين عام ١٨٨٢ التي صدرت في روسيا، استيقظت نبضة غامضة غير عادية في أعماق الجماهير اليهودية للتحرر، وكانت هذه الفترة هي مولد الصهيونية الحديثة».[٢].

(1) Tylor, Alan, Prelude to Israel (New York 1959) p.2

(2) weizmann, chaim, Trial and Error (New York 1949) p.24 =

وعلى أثر ذلك دعا هرتزل الذي نادى بإقامة الدولة اليهودية إلى عقد مؤتمر صهيوني عالمي، وعقد بالفعل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس عام ١٨٩٧م، وحضره مئتان وأربعة من مفكري اليهود من معظم أنحاء العالم ولأول مرة في التاريخ اليهودي، وكان هرتزل مهندسه الحقيقي.

واستطاع المؤتمر أن يخرج بقرارات هامة عرفت «ببرنامج بازل» وكانت تهدف إلى «إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام» وهذا هو هدف الصهيونية.

وحدد المؤتمر الخطوات الكفيلة بتحقيق هذا الهدف:

١- تشجيع الاستعمار الاستيطاني في فلسطين على أسس مناسبة من قبل العمال الزراعيين والصناعيين اليهود، وكذلك العمل على إنشاء مستعمرات زراعية وعمرانية في فلسطين.

٢- إنشاء منظمة تربط يهود العالم، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها في كل بلد يتواجد فيه اليهود.

= إن قوانين عام ١٨٨٢ التي أشار اليها وايزمن كان قد سبقها في عام ١٨٨١ اضطرابات أدت إلى مقتل عدد من اليهود إثر اتهامهم بالمشاركة في مقتل قيصر روسيا إسكندر الثاني.

٣- تقوية وتعزيز الشعور القومي لدى اليهود، وذلك من خلال كتابات مفكري اليهود وفلاسفتهم أمثال الحاخام يهوذا القالي، زفي كاليشر، وموسى هس في كتابه روما والقدس، وليوبنسكر في كتابه التحرير الذاتي والذي أسس جمعية أحباء صهيون.

٤- اتخاذ خطوات تمهيدية مجدية من أجل الحصول على موافقة الدول الكبرى لتحقيق أهداف الصهيونية[١].

وتأتي أهمية المؤتمر الصهيوني الأول بأنه نقل الجهد الصهيوني وعلى صعيد عالمي إلى مرحلة جديدة، هي مرحلة العمل والإنشاء والإنجاز المتكامل لترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين بالتعاون مع الدول الاستعمارية[٢]. كما أوضح البرنامج إستراتيجية العمل الصهيوني التي اعتمدت طريقة للعمل ضمن إطار الآراء المتفرقة داخل الحركة وفي العالم. أما القضايا الرئيسة فكانت الاستحسان الدولي (أو البراءة الدولية) والمشاركة اليهودية، ومشكلة المقاومة العربية بالنسبة للأهداف الإقليمية[٣].

(1) Esco - Foundation for Palestine, Astudy of Jewish, Arab and British Policies (New raven 1947) p.40

(٢) أنيس صايغ، يوميات هرتزل، بيروت ١٩٦٦، ص ٨٩.

(٣) إبراهيم أبو لغد، تهويد فلسطين، بيروت ١٩٧٢، ص ٣٢.

ووضعت الحركة الصهيونية برنامجًا عمليًا لتنفيذ هذا المخطط يقوم على ثلاثة خطوط: التنظيم، والاستعمار أو الاستيطان، ثم الدبلوماسية والمفاوضات[١].

وقد عملت الصهيونية على تنظيم أجهزتها الإدارية للقيام بأعباء ومهام بناء الدولة، فأقامت جمعيات صهيونية أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية، كما عملت على خلق أدوات الاستعمار الصهيوني المنظم في فلسطين ومنها المصرف اليهودي للمستعمرات، والصندوق القومي اليهودي، ولجنة الاستعمار، ومكتب فلسطين، وشركة تطوير الأراضي، وكان هدف هذه المؤسسات جميعها التخطيط لعملية الاستعمار اليهودي[٢].

واعتمدت الصهيونية الدبلوماسية للحصول على الدعم والتأييد الدولي بشأن تحقيق الهدف الاستراتيجي لها. وكان من الطبيعي أن تتركز جهود الصهيونيين الدبلوماسية في بادئ الأمر على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون فلسطين في ذلك الوقت، وبذل هرتزل جهودًا كبيرة لدى السلطان العثماني

(١) فايز صايغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، ص ١٣.
(٢) السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، ص ٤٠.

عبدالحميد الثاني، إلا أن جميع محاولاته قد باءت بالفشل، ثم اتجه هرتزل بعد ذلك إلى الدول الأوربية الاستعمارية للحصول على التأييد الدولي ونجح في ذلك[١].

(١) حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني ١٨٩٧ - ١٩٠٩ بيروت ١٩٧٨.